أزمــة القــارئ الفلســفي

(الخليــة الأولــى)

الدكتور حسن أحمد جواد اللواتي

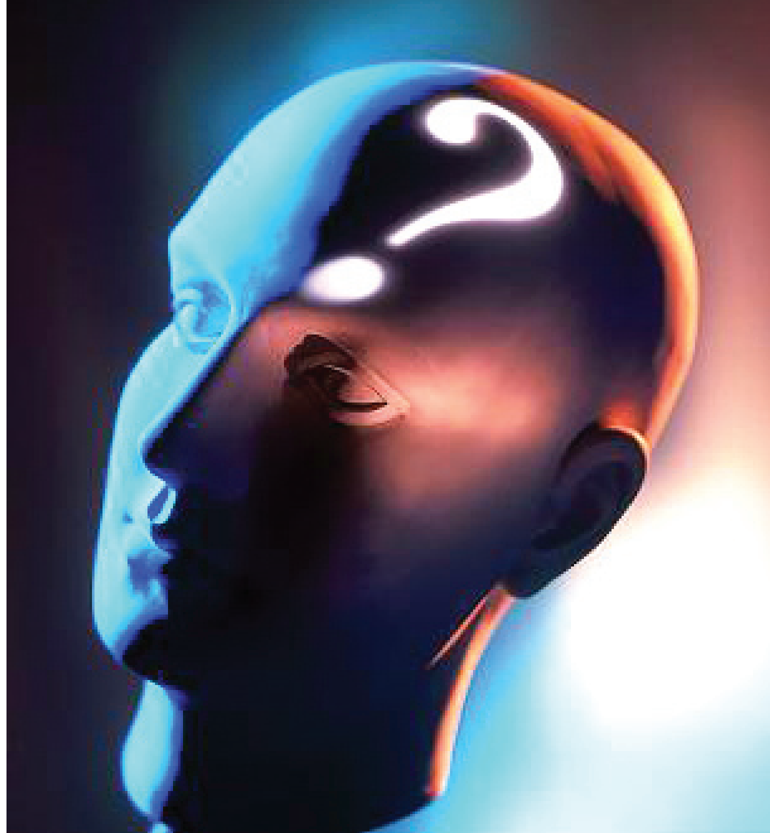
عند البدء بقراءة أية مادة علمية سواء كانت كبيرة الحجم ككتاب أو مجلد أو أكثر أو كانت صغيرة كمقالة من عدة صفحات فإن أول مهام القارئ وأهمها هي اتخاذ قرار شخصي إن كان معنيا بالفعل بقراءة تلك المادة العلمية وإن كانت تلك المادة العلمية مفيدة له مبدئيا على الأقل، فلا خير من صرف أوقات ثمينة وجهود نفيسة في الخوض في كتاب حتى نصفه أو حتى ربعه لنكتشف بعد ذلك أن ما نبحث عنه ليس موجودا في ذلك الكتاب أساسا أو أن تلك المادة العلمية في واد مختلف عن الوادي الذي نرغب في سلوكه.

بالطبع لا يتسنى للمرء الحكم بدقة تامة على أية مادة علمية ما لم يقرأ جزءا معتبرا من تلك المادة أو حتى كلها، ولكن قرار البدء في القراءة وحتى قرار الاستمرار بالقراءة لا يتطلب من القارئ المتمرس الكثير من المعطيات لاتخاذه تجاه مادة علمية معينة.

فشهرة الكاتب ومجال إبداعه وعنوان الكتاب وجدول محتوياته ومقدمة الكاتب والفقرات التعريفية على جلد الكتاب الخلفي من ضمن أشهر المعطيات التي يستخدمها القارئ المتوسط لتحديد رغبته بالخوض بقراءة كتاب ما من عدمها.

بالطبع إن أول تحد يواجه ثقافة القراءة هي عزوف الأجيال المعاصرة وبالذات في مجتمعاتنا العربية عن القراءة، فمع توفر الشاشات الفضائية التي توفر عددا ضخما من القنوات التي تبث برامجها على مدار الليل والنهار ومع توفر الكم الهائل من وسائل الترفيه والتسلية الرقمية مثل ألعاب الفيديو ومع اتخاذ الشبكة العنكبوتية (الانترنت) لطابع التسلية أكثر من طابع الثقافة والتعليم لدى معظم المستخدمين لها فإن ما كان يسمى في زمن ما (بخير جليس) أصبح اليوم لا يجد مكانا حتى على الرفوف أكثر مما تتطلب احتياجات التزيين المنزلي (الديكور)، ولو قام الفرد منا بعمل استقراء سريع لعدد الكتب التي يقوم بمطالعتها سنويا في مقابل عدد الأفلام التي يشاهدها أو عدد حلقات المسلسلات التلفزيونية (التلفازية) التي يتابعها فإن ذلك قد يوفر مؤشرا سريعا لثقافة القراءة في ذلك المجتمع، ولكن قد يوفر عليك أصحاب المكتبات ذلك العناء عندما يخبرونك بتضاؤل عدد الكتب التي تباع سنويا.

ولكن لسنا بصدد مناقشة أزمة القراءة العامة في هذا الكتاب لأننا بصدد تعميق الوصف لتلك الأزمة عندما نتعرض لقراءة الكتاب الفلسفي، فإن المقدم على قراءة كتاب فلسفي (إن وجد، وهي سلالة مهددة بالانقراض) يواجه سؤالا هاما جدا حول جدوى الخوض في مغامرة قراءة مادة فلسفية مع ما يحيط بالفلسفة من شهرة غير مستحبة في أوساط العرف الاجتماعي، فليس خفيا علينا أن كلمة فلسفة ترادف بالاستخدام العرفي الدارج في معظم المجتمعات والأوساط الغير علمية كلمات مثل التعقيد أو الترف الفكري، وفي ظل هذه الهالة السوداء التي أحيطت الفلسفة بها سواء بسبب جهل الجهال أو غرض المغرضين فإن مهمة من تراوده نفسه بقراءة ولو سطحية في المادة الفلسفية تكون عسيرة وقد لا تكون عسيرة كثيرا إن أطاع هواه وسمح لتلك الغمامة السوداء أن تعكر عليه رؤيته بشكل غير موضوعي فترك الفلسفة من رأس واتجه لقراءة أية مادة مكتوبة أخرى سواء كانت جريدة سياسية، أو مجلة تزخر بأخبار الممثلين والمغنيات، أو رواية قصصية، أو كتابا يفترض به أن يكون فكريا ولكنه لا يعير المباحث العقلية أهمية كبرى على أحسن تقدير.



وكأنما لا يكفينا ذلك تشاؤما، فنضيف لذلك المنظر القاتم طبقة أخرى من السواد عندما ننظر إلى مادة الكتب الفلسفية فنجدها قد كتبت (لأسباب تاريخية) بلغة هي أشبه بشفرات الرسائل السرية التي يستحيل على القارئ المتوسط فكها وفهمها بما تحويه من لغة صعبة ومصطلحات تحمل معان كثيرة لنفس اللفظ (تسمى بالمشتركات اللفظية على حد تعبير المناطقة والفلاسفة)، وبما تحويه من فقرات مضغوطة يتطلب شرح الفقرة منها ساعة أو أكثر على يد أستاذ متمرس يشرح الفلسفة لتلاميذ يحضرون طواعية دروس الفلسفة فكيف بالقارئ العادي المسكين.

ولكن مهلا، إنني لا أرغب عزيزي القارئ الكريم أن أصرف ما تبقى لك من أمل ودافعية بسيطة في قراءة الفلسفة ولا أتمنى أن تكون كلماتي السابقة التي تصف وضع القراءة الفلسفية عالميا بمثابة القشة التي تقصم ما لديك من قليل رغبة في خوض غمار الفلسفة، بل إن ما أرغب بقوله هو أن هدف هذا الكتاب المتواضع إن وفقني الله بإتمامه ووفقك الله بقراءته وفهمه والاستفادة منه هو أن يعيد كتابة الفلسفة الإسلامية والحكمة المتعالية على الأقل بطريقة تكون بمتناول يد الطالب المدرسي من مستوى الثانوية العامة فما فوق[١، وفي سبيل إنتاج هكذا مهمة وإنجاحها فقد استعنا بالله العزيز الحكيم لمدنا بالمدد الكافي لهذه المهمة الصعبة مقتدين بقول الله تعالى (فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاء حَسَناً إِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) الأنفال١٧ ومستعينين ببركة بدء المشروع في هذه الليالي العظيمة من شهر رمضان الفضيل، كما قمنا بالاستعانة بعرض فصول الكتاب وهي في طور كتابتها والتدقيق بها على مجموعة من طلبة المدارس والكليات والجامعات ليختبروا سهولة (أو صعوبة) الكتابة به ويقترحوا علينا ما يتطلبه الهدف من تعديلات ومداخلات.

أما من الناحية التقنية ودقة المادة العلمية بالكتاب فقد استعنا بعرض مادة الكتاب على سماحة العلامة السيد كمال الحيدري وهو أستاذنا الذي تعلمنا منه هذه الصنعة عبر أشرطة الدروس السمعية التي ألقاها طوال السنوات الماضية، حتى يخرج الكتاب محققا الهدفين التنفيذيين الأساسيين له وهما الدقة العلمية وسهولة الطرح وسلاسته.

الروائية جانيت ونترسون تدافع عن المكتبات التقليدية

انضمت الروائية البريطانية جانيت ونترسون مؤخرا إلى حملة المدافعين عن إنقاذ المكتبات في بريطانيا التي تواجه أزمات مالية خانقة بسبب تقلص الميزانيات الخاصة بها.

وجانيت، التي أتمت هذا الأسبوع عامها ٥١ ، كانت قد أصدرت أول رواية لها في سن ٢٦ بعنوان (البرتقال ليس هو الفاكهة الوحيدة) التي نالت جائزة وايتبريد البريطانية كأول عمل روائي، وقد تحولت الرواية إلى مسلسل تليفزيوني ناجح.

وقد صدر لها هذا العام رواية "معركة الشمس" كما صدر لها العديد من الروايات التي نالت عنها عدة جوائز أدبية متميزة. ويأتي دفاع جانيت عن بقاء المكتبات المحلية في وجه هجمة وسائل التكنولوجيا الحديثة مثل أقراص (دي في دي) وغيرها من مفردات الكمبيوتر والإنترنت.

500 لوحة مزورة لماتيس وماجريت وشيريكو

تمكن المسؤولون الفنيون الإيطاليون من اكتشاف ٥٠٠ لوحه فنية مزورة تقدر قيمتها بحوالي ٧ ملايين يورو منسوبة لكل من الفنانين ماتيس وماجريت وشيريكو. وكان جامعو التحف الفنية قد اشتروا هذه اللوحات المزيفة عبر الإنترنت، وقد استغرقت عملية البحث والكشف عن هذه الأعمال قرابة العام والنصف. وكشفت التحقيقات عن وجود ١٢ شخصية مسؤولة عن عملية التزييف والاتجار في اللوحات الفنية المقلدة عبر الإنترنت.

مصادرة كتاب عن فلاديمير بوتين

صادرت السلطات الروسية الآلاف من نسخ كتاب يهاجم فترة حكم الرئيس الروسي السابق ورئيس الوزراء الحالي فلاديمير بوتين بدعوى أن العمل يشوبه التطرف. وكانت الشرطة الروسية قد صادرت الآلاف من نسخ الكتاب لمؤلفه بوريس نيمتسوف الزعيم الليبرالي المعارض والنائب